الفصل الثالث

الشريعة وواجبات الصحافة

يشتمل هذا الفصل على النقاط الرئيسة التالية :

١ ــ الشريعة وأهميتها بوجه عام ومكانتها في الإسلام بوجه خاص .

٢ ــ شمولية الشريعة الإسلامية .

٣ ــ الإسلام والجاهلية .

٤ ــ عالمية منهج الشريعة الإسلامية .

٥ ــ دور الصحافة الإسلامية بوجه عام وعلاقتها بالمجتمعات العربية والإسلامية .

من المناسب وقبل القيام بتحديد الدور الذي يجب أن تقوم به صحافتنا من تعليم المسلمين شريعة الله والمحافظة عليها والعمل على تدعيمها في المجتمع، التطرق ولو بنبذة موجزة عن الشريعة الاسلامية الغراء وأهميتها ومكانتها .

١ ــ الشريعة وأهميتها بوجه عام ومكانتها في الإسلام بوجه خاص .

إذا كان الحكم في العقيدة يتعلق بأمر قلبي، أو يتعلق بمعتقد محله القلب ومسؤليتنا تجاهه هي التصديق به، فهو منحصر في دائرة نظرية بحته، إن الاقرار بوجوب الوجود لله عز وجل، والاقرار

بوحدانيته وباتصافه بكل صفات الكمال وبأحقية القرآن وأحقية رسالة محمد ﷺ والبعث والجنة والنار، كل هذه الأمور اعتقادية نظرية تتعلق بالاعتقاد الذي محله القلب ودائرته الفكر والتدبر .

إذا كان هذا الحكم في العقيدة، فإن الحكم في الشريعة لايتعلق بقلوب المكلفين من الناس أو اعتقاداتهم وإنما يتعلق بأعمالهم، وبعبارة أوضح يتعلق بكيفيات أعمالهم .

فالحكم على أكل الطيبات من الرزق بالحل وعلى السرقة بالحرمة وعلى شرب الخمر بأنه رجس من عمل الشيطان وعلى الصلاة بأنها واجبة وعلى شرب الدخان بأنه مكروه وعلى صلاة العيد بأنها سنة، إنما هو حكم كيفية لعمل وقع أو يقع من المكلفين بشريعة الإسلام .

إذن فموضوع العقيدة الإسلامية هو (اعتقاد المكلفين) أما موضوع الشريعة الاسلامية إنما هو (كيفية أعمال المكلفين) .

وسواء تعلق الحكم «بالاعتقاد» أو «بالعمل» فإنه حكم شرعي، حيث لاسبيل لإدراكه ومعرفته بالعقل، وإنما فقط بخطاب «الشارع الحكيم» .

وهذا الحكم مأخوذ من الشرع ومستمد من نصوصه وأحكامه .

القرآن الكريم يعرفنا بشعبتي الإسلام :

إن كلمة الله الجامعة وهدايته البالغة لمعرفة شعبتي الاسلام «العقيدة والشريعة» هي «القرآن الكريم» الذي جاء للناس بالهدى

ودين الحق، ووضح لهم بما لايدع مجالا للشك أن حقيقة الاسلام وجوهره لايمكن أن تظهر وأن معُناه لايثبت ويتقرر في نفس المسلم إلا إذا أخذ هذان الأصلان «العقيدة والشريعة» مكانهما الصحيح في قلبه وعقله، وسلطانهما على نفسه وجوارحه .

إن **العقيدة الإسلامية** هي الجانب النظري الذي يحتم على المؤمن الايمان به أولا ايماناً يقينياً صادقاً، مقروناً بشعور الرضا والقبول، واقبال النفس عليه والاطمئنان به ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالأيمان ﴾[1]

أما **الشريعة الإسلامية** : فهي ماشرعه الله سبحانه وتعالى من نظم، ووضع أصولها كي يستنير بها الأنسان فيما هو بصدده وماهو ضرورى لحياته من صلات وعلاقات، كصلته أو علاقته بربه، وكصلته أو علاقته بمن حوله من الناس، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وكذا علاقته بنفسه وذاته وعلاقته بمن حوله من كائنات .

وخصصت الشريعة في لغة القرآن الكريم باسم «العمل الصالح» أو «الاستقامة» .

قال الله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا . خالدين فيها لايبغون عنها حولاً ﴾[2]

﴿ من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينَّه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون ﴾[3].

(١) سورة النحل الآية / ١٠٦

(٢) سورة الكهف الآيتان / ١٠٧، ١٠٨

(٣) سورة النحل الآية / ٩٧

﴿ والعصر . إن الإنسان لفي خسرٍ . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾[2].

مايجب أن يكون عليه العمل :

إن هذا العمل يكون بكل ماأمر الله به من فرائض ونوافل، والابتعاد أو الكف عن كل مانهى عنه من محرمات وشبهات – كبرت أو صغرت – قلت أو كثرت – وسواء كان العمل بالسر أو بالعلن بالقلب أو بالجارحة .

ثم أن الإسلام لم يكتف – في هذا الصدد – بمجرد العمل بل لم يقف عند حد الحث عليه واستكمال التصديق والايمان به، وإنما تعدى ذلك إلى ماهو أرسخ وأثبت وإلى ماهو أسمى وأصلح للفرد والجماعة في دينهم ودنياهم معاً، تعداه إلى إتقان «العمل»[3].

لقد قال الرسول الكريم ﷺ «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» [4].

فيجب أن تكون أعمالنا، أياً كانت هذه الأعمال، سيما عمل المسلم الفاهم لدينه، المتمسك باسلامه، أن تكون هذه الأعمال

---

(١) سورة العصر .

(٢) سورة الاحقاف الآية / ١٣

(٣) راجع – محمد البيصار – العقيدة والأخلاق ص ٩٦ – ١٠١

(٤) رواه البيهقي في شعب الأيمان – عن عائشة رضي الله عنها وهو حديث يدور بين الصحة والحسن» . كما ورد في «الفتح الكبير – ج / ١ص ٣٥٤ – للسيوطي» .

خاضعة لأمر الله، ملتزم صاحبها بكل ماطلبه الله في عباداته ومعاملاته، في سلوكه وحياته .

وإن كان الإسلام قد حث أتباعه على العمل، حين نبهنا القرآن الكريم في كثير من آياته فقال ﴿ وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾[1].

إن كان نبهنا إلى هذا فقد حثنا الرسول قائلا « خيركم من عمل عملا وأتقنه » .

الاسلام يطلق على معنيين :[2].

١ ــ على نفس النصوص التي يوحى بها الله مبيناً دينه .

٢ ــ وعلى عمل الانسان في ايمانه بهذه النصوص واستسلامه لها .

والملاحظ أن الاسلام بالمعنى الأول يختلف سعة وشمولاً من رسول إلى رسول، مع اتفاقه بالمبادىء والأصول، فالاسلام الذي أنزل على موسى أوسع مما أنزل على نوح، لأن الله ذكر عن التوراة ﴿ وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء »[3] واسلام محمد ﷺ أوسع من اسلام أي رسول سابق، لأن الرسل السابقين جميعاً بعثوا لأقوامهم خاصة، الرسول ﷺ بعث للناس جميعاً، فاقتضى ذلك أن يكون اسلامه أشمل من كل رسالة سابقة .

---

(١) سورة التوبة، الآية / ١٠٥

(٢) سعيد حوى. الاسلام. الجزء الأول. الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م - ٦ــ٧

(٣) سورة الأعراف الآية / ١٤٥

وقد وصف الله القرآن بقوله ﴿ ونـزّلنا عليك الكتاب تبياناً لك شيء ... ﴾[1].

بناء النبوة والرسالة :

إن الله تعالى لم يترك أمة من الأمم إلا وأرسل لها رسولا ﴿ ... وإن مـــن أمـــةٍ إلا خـــلا فيها نذيـــرٌ ﴾[2] ﴿ ولقـد بعثنـا في كل أمـةٍ رسولاً أن أعبـدوا الله واجتنبـوا الطاغوت ﴾[3].

﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ...﴾[4]

ولقد هدانا الله لسنن الأنبياء والمرسلين السابقين ﴿ أولئك الذين هدى فبهداهم أقتده ... ﴾[5].

﴿ ويهديكم سنن الذين من قبلكم... ﴾[6].

وأكمل لنا ماينبغي أن يكمل وأتم لنا مايجب أن يتم : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ... ﴾[7].

وقال الرسول ﷺ «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل الرجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل

(١) سورة النحل الآية / ٨٩
(٢) سورة فاطر الآية / ٢٤
(٣) سورة النحل الآية / ٣٦
(٤) سورة إبراهيم الآية / ٤
(٥) سورة الأنعام الآية / ٩٠
(٦) سورة النساء الآية / ٢٦
(٧) سورة المائدة الآية / ٣

الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين »[1].

وبهذا الكمال والتمام أصبحت البشرية كلها مطالبة به. فنسخ بذلك كل شرع سابق ولن يتنزل بعد ذلك شرع لاحق، إذ بمحمد ﷺ ختمت الرسالة .

قال تعالى ﴿ ماكان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رسولَ الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً ﴾[2].

﴿ قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً .. ﴾[3]

﴿ ومأأرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً .. ﴾[4].

وفي الأصل فإن الاسلام الذي بعث به الرسل السابقون، قد نُسي أو حُرف أو بُدل وطمست معالم الحق فيه. واستقر الباطل عند أهله، في عقائدهم وعباداتهم وسلوكهم .

فلا بدّ إذا ما أرادت الانسانية الاسلام أو الاستسلام لربها أن تتبع «محمد» ﷺ وما جاء به وليست لها الخيار في ذلك لأن الله لايقبل غيره. خاصة إذا علمنا وأدركنا أنه لايوجد الآن أي كتاب ديني في العالم سوى القرآن وحديث الرسول ﷺ الصحيح له سند متصل[5].

---

(١) رواه مسلم – كتاب الفضائل – الباب / ٧ في ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين) والبخاري – كتاب المناقب – الباب / ١٨ – خاتم النبيين) .

(٢) سورة الأحزاب الآية / ٤٠

(٣) سورة الأعراف الآية / ١٥٨

(٤) سورة سبأ الآية / ٢٨

(٥) راجع سعيد حوى المرجع السابق ص ٦ – ٨

قال تعالى ﴿ ياأهل الكتاب قد جاءكم رسُولنا يبيّن لكم كثيراً مما كُنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثيرٍ قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ ﴾[1].

وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا إنما هو إله واحد وليذّكر أولوا الألباب . ﴾[2].

﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾[3].

ومأأحوج البشرية اليوم إلى هذا الدين والاحتكام اليه والالتزام بتعاليمه، يوم أن نعود إلى قرآن ربنا وشريعة أسلامنا، فهو الفصل ليس بالهزل فيه نبأ من قبلنا وخبر ما بعدنا، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا اليه هدىَّ إلى صراط مستقيم .

٢ ــ شمولية الشريعة الإسلاميــة :

إن شريعة الاسلام هداية كاملة للانسان والناس، فلقد جعلها الله سبحانه وتعالى كاملة شاملة، إذ لم يبق قضية من قضايا الكون إلا وقد بّين حكمها فيها، اباحة، أو حرمة أو كراهة، أو سنيه أو وجوباً أو فريضة، سواء في ذلك شئون العبادة أو السياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد أو الحرب والسلم، إلى أخر مايهم الأنسان من شئون. وهذه الشريعة تعرف من الكتاب والسنة .

---

(١) سورة المائدة الآية / ١٥

(٢) سورة إبراهيم الآية / ٥٢

(٣) سورة التوبة الآية / ٣٣

قال تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾[1]
وقال عنه ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾[2] .

والرسول الكريم ﷺ عرف لنا الاسلام بتعاريف عدة منها : قال : «الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان» .[3]

وقال ﷺ : «إن الإسلام بُنيَّ على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان»[4].

إن هذا الحديث جامع، واعتبر هذه الخمسة أركانا للإسلام، أي أن بناء الإسلام يقوم على هذه الأركان الخمسة وهي ركائز الإسلام وليست كل الإسلام .

هل الإسلام هو هذه الأركان الخمسة فقط ؟

إن من يظن أو يتصور بأن الإسلام هو أركانه الخمسة فقط، يكون مخطئاً جداً. فالقرآن الكريم قد ذكر غير هذه الأشياء الخمسة، فقد ذكر أخلاقاً وذكر اقتصاداً وذكر اجتماعاً وذكر سياسة، وذكر حرباً وسلماً وخيراً وشراً ثم أن كتب الفقه فيها عبادات ومعاملات وقضاء وجهاد. وزواج وإرث .

---

(١) سورة النحل الآية / ٨٩
(٢) سورة يوسف الآية / ١١١
(٣) أخرجه الخمسة إلا البخاري . وقد رواه مسلم في (كتاب الايمان – الباب الأول)
(٤) رواه مسلم : (كتاب الايمان – الباب الخاص في أركان الاسلام – والبخاري : في كتاب الايمان – الباب الأول قوله ﷺ – بُني الاسلام) .

وكذلك كتب الحديث، كصحيح البخاري، اشتملت على عقائد وعبادات وأحكام بيع وشراء وعقود، وأحكام سياسة واجتماع. واقتصاد، وأخلاق .

إذن هذه الأركان الخمسة التي عليها بناء الاسلام ليست كل الاسلام .

الشريعة الاسلامية أساس وبناء :

إن الشريعة أساس وبناء، الأساس هو الأركان، والبناء هو أحكام الشريعة في قضايا البشر .

فللشريعة الاسلامية «منهاجها السياسي» المستقل، ففيها النظرة الاسلامية المفردة إلى موضوع الأمة والوطن والرئاسة العليا وطريقة الشورى والقضاء والأجهزة التنفيذية والأمور الإدارية إلى غير ذلك .

ولها أيضا «منهاجها الاجتماعي» المستقل وتجد في هذا المنهاج نظرة الاسلام المنفردة إلى الانسان والى الرجل والى المرأة وتنظيم الأسرة، وحقوق كل من الرجل والمرأة وإلى الحياة الاجتماعية عامة ومفاهيمها .

ولها «منهاجها الاخلاقي» المستقل، ففيه طريق أخلاقي واضح كامل وشامل بحيث لم يبق فيه أمر من أمور الحياة إلا وقد رسم له الطريق الطاهر والنظيف المطلوب لسلوكه والسير فيه .

ولها «منهاجها التعليمي «المستقل، الذي يعمر الدنيا ولا ينسى الآخرة ولها «منهاجها العسكري والاقتصادي» ... وهكذا .

وعلى ضوء هذا الشمول فلا نجد قضية من قضايا الكون

البشري إلا وللشريعة الاسلامية فيها حكم. فمجموع هذه الأحكام هي بناء الاسلام الذي تقوم فوقه أركانه[1]

نعم فشريعة الاسلام جامعة مانعة ... يقول تعالى : ﴿ لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾[2].

وكيف لاتكون كذلك وهي من صنع ربنا جاء بها الوحي على قلب رسولنا ليهدي الناس إلى الصراط المستقيم ﴿ صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾[3].

وصدق الله حيث يقول ﴿ ..ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾[4].

واجب أهل الحق والمؤمنين بالاسلام :

إن الله سبحانه وتعالى قد كلف البشرية بهذه الشريعة من أجل أن يستقيم أمرها في الدنيا والأخرة، إلا أن النفس البشرية بطبيعتها لاتقبل أو ترغب في التكاليف والقيود التي تقيد من أهوائها وشهواتها ونزواتها وحريتها وإن كان ذلك لصالحها .

لهذا فقد أوجب الله على أهل الحق الذين أمنوا به والتزموا به أن يحملوا الانسانية على الخضوع لسلطانه .

وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد.

---

(١) أنظر. سعيد حوى. الاسلام ص ٨ - ١٠

(٢) سورة فصلت الآية / ٤٢

(٣) سورة الشورى الآية / ٥٣

(٤) سورة النحل الآية / ٨٩

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تقوم شريعة الله في المجتمع الإسلامي .

والجهاد من أجل فرض سلطان هذه الشريعه على العالم خارج حدود الوطن الاسلامي ... قال تعالى ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله .. ﴾ .[1]

فهذه الثلاثة «الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» هي : المؤيدات البشرية لقيام الشريعة الإسلامية .

ولقد أدخلها الرسول ﷺ مع الأركان في بعض تعريفاته للإسلام وذلك لأهميتها .

قال رسول الله ﷺ «الاسلام ثمانية أسهم، الاسلام سهم والصلاة سهم، والزكاة سهم، والصوم سهم، وحج البيت سهم. والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، والجهاد سهم، وقد خاب من لاسهم له» .[2]

إن المعروف ... كلمة عامة تشمل كل شيء طلب في الشريعة أو أبيح. سواء كان فريضة أو واجباً أو سنة أو مباحاً .

والمنكر ... كلمة تشمل كل مالم تقره الشريعة أو أمرت الناس بالاحتراس منه، أو الانتهاء عنه، ويدخل في ذلك الحرام والمكروه .

إذن فالمعروف يشمل أركان الاسلام والاسلام .

---

(١) سورة الأنفال الآية / ٣٩

(٢) رواه البزار – كشف الاستار عن زوائد البزار للبيهقي جـ ١ ص ١٧٠ – رقم الحديث/٣٣٦، ورواه الامام احمد في مسنده جـ/٦ ص ١٤٥، ١٦٠ .

والمنكر يشمل الانحراف عن الاسلام أركاناً وبناءً .

ومن أولى مهام المسلمين ابقاء شريعة الله قائمة، ولذلك كان عنوان كون السلطة اسلامية هو هذا :

﴿ الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾[1].

فإقام الصلاة رمز على أن دولتهم دولة عبادة لله .

وايتاء الزكاة رمز على أن دولتهم دولة عدالة ربانية .

والأمر بالمعروف رمز على أن الخير كله في دولتهم موجود .

والنهي عن المنكر رمز على أن الشر كله في دولتهم مقهور ومدحور .

وهذا كله رمز على أن بناء شريعة الاسلام قائم في أسسه وبنيانه .

خـلاصـــــة :

نخلص مما تقدم ذكره إلى :

١ ــ أن الاسلام عقيدة تتمثل بالشهادتين وأركان الأيمان .

٢ ــ أن الاسلام عبادة تتمثل بالصلاة والزكاة والصوم والحج . وأن الاثنين هما أركان الاسلام .

٣ ــ أن الاسلام بناء يقوم فوق هذه الأركان، يتمثل بمناهج الحياة في شريعة الاسلام، المنهاج السياسي والاقتصادي، والعسكري والأخلاقي والاجتماعي والتعليمي ... وما إلى ذلك .

---

(١) سورة الحج - الآية/٤١.

٤ ــ وأخيرا فإن لشريعة الله مؤيدات هي طريق قيامها، تتمثل بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن هذه المؤيدات هي غير المؤيدات الربانية المتمثلة بعقوبة الفطرة وعقوبة القهر الالهي في الدنيا، المتمثلة في الجنة والنار في الآخرة .

٣ ــ الإسلام والجاهلية :ــ

الشريعة الاسلامية إذاً عقيدة وعبادة، ومنهج حياة ومؤيدات، ويقابل شريعة الاسلام ومبادئها «الجاهلية» فما من جزء من شرائع الاسلام إلا ويقابله جاهلية، ويدل على هذا قول الرسول ﷺ لأبي ذر عندما تصرف تصرفاً غير اسلامي مع بلال وعيّره بأمه السوداء «إنك امرؤ فيك جاهلية»[1].

وقوله تعالى ﴿ ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ... ﴾[2] فالستر اسلام وماقابله جاهلية .

وقول عمر رضي الله عنه « إنما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ في الاسلام من لم يعرف الجاهلية»

وإنما كانت شرائع الاسلام كلها تقابل الجاهلية، لأن كل جزء من الاسلام إنما هو أثر عن علم الله المحيط، وكل مايقابله من فكر وسلوك إنما هو جاهلية، لأنه أثر عن محدودية علم الانسان وتغلب أهوائه وشهواته عليه بحيث يرى الجمال قبحاً والقبح جمالاً .

إذن فالاسلام هو الكمال المحض، والجاهلية هي النقص المحض،

---

(١) رواه البخاري (كتاب / ٢ في الايمان ، باب / ٢٢ في المعاصي من أمر الجاهلية، ومسلم / ١٦٦١ في الايمان باب اطعام المملوك مما يأكل .

(٢) سورة الأحزاب – الآية / ٣٣

وللانسان الخيار في أن يسلك أحد السبيلين والجزاء امامه .

قال تعالى ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾[1]

ثم أن وجود شيء من الاسلام في نظام الجاهلية أمر طبعي كأثر من آثار العقل الذي أعطاه الله للانسان وأثر عن النفخة الروحية التي جعلت الانسان خليفة على أرض الله ﴿ ونفخت فيه من روحي .. ﴾[2] بحيث يستطيع معرفة ماهو طيب وجميل في التمدن الانساني والحياة الانسانية، ولكن القوى الأخرى الموجودة في الانسان وعدم استطاعة العقل أن يحيط أو يستوعب كل شيء يمنعان الانسان من الوصول الكامل إلى كل كمال في الحياة الانسانية، فالهوى والشهوة والضعف البشري أمراض لايسلم منها الا من استنار بنور الوحي الالهي .

ـــ إذن ففي العقائد اسلام وجاهلية .

ـــ وفي العبادات اسلام وجاهلية .

ـــ وفي الاخلاق والآداب اسلام وجاهلية .

ـــ وفي السياسة اسلام وجاهلية .

ـــ وفي التعليم اسلام وجاهلية .

ـــ وفي الاجتماع، وفي الحرب والسلم... اسلام وجاهلية .

فحيثما كان **الحق** فهو اسلام، وحيثما كان **الباطل** فهو جاهلية .

وحيثما كانت المصلحة، فثم شرع الله، وحيثما كان العكس فتلك جاهلية.

---

(١) سورة الانسان – الآية / ٣

(٢) سورة الحجر – الآية / ٢٩

والمصلحة الحقيقية للانسان لاتعرف إلا بشرع الله .[1]

مايجب أن يكون :

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الشريعة كاملة، فمن أخذ بها كلها فهو **المسلم** ومن أخذ قسماً وقصَّر في جزء فقد **خلط بين إسلام وجاهلية** .

قال تعالى : ﴿ وآخرون أعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً .. ﴾[2] والمفروض أن يكون كل مسلم قد تخلى عن أخلاق ومبادىء الجاهلية كلها وتحلى بالاسلام كله. وأن تكون الأمة الأسلامية مظهراً كاملاً لنظام الشريعة الاسلامية، وأن تحاول القضاء على كل نظم الجاهلية في العالم .

إننا نرى اليوم إنحرافاً خطيراً حدث في نظام الحكم الاسلامي. فما أكثر الدعوات الجاهلية في أرض الاسلام، وما أكثر ما استجاب لها نفر من المسلمين : التنصير والشيوعية والاشتراكية، وفلسفة الاباحة والأحزاب السياسية غير ذات الاتجاه الاسلامي، والعمالة، بل الولاء لليهود والنصارى باسم الانسانية أو التعايش السلمي أو المجتمع الدولي أو التقدمية والحضارة ومحاربة الرجعية وماشابهها من شعارات باطلة ظالمة تتفق جميعها في المقاصد والغايات .

وبدلاً من أن يكون الاسلام هو المُهاجِم للقضاء على أنظمة الجاهلية أصبح هو المُهاجَم، تحاول أنظمة الجاهلية القضاء عليه

---

(١) أنظر سعيد حوى. مصدر سبق ذكره. ص ١٠ – ١٥

(٢) سورة التوبة الآية /١٠٢

واحتواءه، لقد تمكنت الدعوات الجاهلية من فرض وجودها بحنكة ودهاء وأسست لنفسها قواعد في كل مكان في العالم الاسلامي وأصبح لكل منها إتباع من المسلمين .

إن الذي ساعد على هذا التمكين كله، جهل المسلمين بالاسلام وإبتعادهم عنه، وإنتقال السلطة السياسية إلى المستعمرين أولاً ثم إلى من يدين بالولاء الفكري والسياسي أو كليهما معاً لهم، فكان غزواً جاهلياً منظماً أدواته كل ماعرف العالم من وسائل الدعاية. حتى أصبحت شريعة الله غريبة بل أصبح الاسلام غريباً بين أهله، إلا من رحمه الله .

نعم لقد عاش العالم قبل الاسلام جاهلية أفقدته الكثير وكان أحوج مايكون إلى من ينير بصيرته، ويأخذ بيده ويبدد ظلامه حتى جاء الاسلام بثورته، ومحمد عليه السلام بدعوته فبددت الظلام نوراً وأشاعت العدل والاخاء والوئام حتى أصبح أتباع هذا الدين لايدينون إلا لله ولايحتكمون إلا الى شرع الله، فأعزهم الله وأناروا الدنيا بنور الاسلام وعلا صيتهم، وفتحوا العالم ودانت الدنيا لهم .

وإن عاش العالم تلك الجاهلية قديماً فجاهلية اليوم لاتختلف عن جاهلية الأمس.

جاهلية اليوم .. التي أبعدتنا عن ديننا وأعطت الفرص لكثير مما يرفضه الاسلام شكلا وموضوعاً، جاهلية اليوم التي نعاني منها الكثير في سلوكنا، في تعاملنا في أخلاقنا بل حتى في معتقداتنا .

ما أحرانا اليوم إلى أن نقضي عليها، ونعود من جديد إلى

ربنا ليأخذ بأيدينا ويعيد الينا عزتنا ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾[1]

نتيجـــة : هنا إذن يأتي دور الصحافة الاسلامية المهم في توضيح شريعة الاسلام بكل قيمها ومبادئها لتصبح صورة المسلم عنها جذابة نقية يقبل عليها غير المسلم، ويعلم المسلم أن هذه الشريعة العظيمة هي سر عزته وكماله وزينة حياته وأعماله وأفكاره. ويعلم من هو المسلم الحق، يعلم كيف يجعل جميع سلوكه في الحياة إسلامياً، وليعلم بعد هذا كله ماهية التكليف الذي كلف الله به عباده وأن الولاء أولاً وأخيراً هو لله وحده، وأن العداء هو لأعداء الله وأعداء شريعته والبراءة منهم جميعاً... سواء كانوا يهوداً أو نصارى ومن شايعهم وداهنهم وأنتصر لهم، تحت أى إدعاء كان ... فيسهم هذا الدور في المحافظة على هذه الشريعة ويعمل على تدعيمها في المجتمع .

٤ ــ عالمية منهج الشريعة الاسلامية :

إن التصور الاسلامي يقوم على أساس أن هذا الوجود كله من خلق الله، اتجهت إرادة الله إلى كونه فكان، وأودعه الله سبحانه قوانينه التي يتحرك بها والتي تتناسق بها حركة أجزائه فيما بينها، كما تتناسق بها حركته الكلية سواء .

﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾[2] .

---

(١) سورة المائدة – الآية / ٥٠

(٢) سورة النحل – الآية / ٤٠ .

﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾[1].

وهذه «الشريعة» التي سنها الله لتنظيم حياة البشر هي – من ثم – شريعة كونية بمعنى أنها متصلة بناموس الكون العام، هذا الناموس الذي ينسق بين مفردات هذا الوجود كلها وينظم حركتها جميعاً، ومن ثم فإن الالتزام بها ناشيء من ضرورة تحقيق التناسق بين حياة الانسان وحركة الكون الذي يعيش فيه.[2].

وكون أن هذه الشريعة هي من عند الله تعالى، فتصبح هي الأجدر والأقدر على تنظيم أمور الحياة وقيادة الانسانية إلى الخير .

فهي المنهج «الأوحد» المناسب لاحتياجات الفطرة البشرية والتنسيق بين متطلبات الانسان النفسية والحسية .

يقول تعالى : ﴿ ألا يعلم من خلقَ وهو اللطيفُ الخبير ﴾[3].

إن ربانية منهج الشريعة الاسلامية، تعني الصبغة التي تجعل له القوامة على سائر المناهج الوضعية، وتفرده بخصائص البقاء والعطاء في كل زمان ومكان وعلى كل صعيد. وعالمية منهج الشريعة الاسلامية تجد الصبغة الانسانية فيه صبغة الانفتاح والقدرة على تحمل مسؤولية هذا الانفتاح ... الصبغة التي تجعل هذا المنهج يتجاوز كل الاعتبارات الاقليمية والعنصرية والقومية والجنسية والعرقية... الصبغة التي تستمد انفتاحها وشمولها وانسانيتها من صبغته (الربانية) .

---

(١) سورة الفرقان – الآية / ٢ .

(٢) أنظر سعيد حوى المصدر السابق ص ٩٧ – ٩٩ .

(٣) سورة الملك – الآية / ١٤ .

ومرونة هذا المنهج: هي الصبغة التي تمنحه القدرة على استيعاب مشاكل الحياة المتجددة والمتنوعة والمتعددة.. الصبغة التي تفسح المجال للاجتهاد في استنباط الأحكام فيما لانص فيه عن طريق القياس واعتبار المصلحة المرسلة والاستحسان والعرف، وغير ذلك من الأدلة الشرعية .

ـــ وشمول منهج الشريعة: هو الصبغة التي تميزه عن سواه من المناهج الأرضية والنظم الوضعية ذات الأغراض الضيقة والمحدودة .

إن منهج الشريعة – هو منهج الله تعالى العليم الخبير المحيط بشؤون الناس وإحتياجاتهم وبما يصلح لهم، وبما يضرهم وينفعهم وبما يسعدهم ويشقيهم.. ولذلك كان هذا المنهج هو القادر على اشباع احتياجات الإنسان الفردية والجماعية والتشريعية والتوجيهية، الداخلية والخارجية..[1] قال الله تعالى: ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة .. ﴾[2]

* فمنهج الشريعة الاسلامية من صنع ربنا الذي خلق الانسان، واستخلفه في هذه الأرض ليعمرها، من هنا كان في علم الله وأزله أن يكون المنهج الرباني منهجاً صالحاً قادراً على مسايرة هذا الكون واسعاد البشرية .

﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .. ﴾[3] .

---

(١) أنظر. فتحي يكن. ماذا يعني انتمائي للاسلام الطبعة الثانية بيروت – ص ٧٣، ٧٤ .
(٢) سورة البقرة – الآية /١٣٨
(٣) سورة الأنعام – الآية / ١٥٣

وعليه فمن واجب الصحافة الاسلامية أن تبرز بوضوح هذا المنهج الرباني، وتقدمه صافياً كما هو، داعية المستخلفين من قبل الله إلى أنه لاسعادة لهم إلا باتباعه، ولاعزة لهم إلا بالإلتزام به والاحتكام إليه، وأنه لا بديل عنه، وأن أي منهج من صنع البشر مبتور مردود ﴿ ومن أحسن من الله حُكماً لقوم يوقنون ﴾[1]

٥ ــ دور الصحافة الاسلامية بوجه عام :

سبق – وضمن التمهيد للفصل السابق – أن أشرتُ إلى أثر الإعلام المعاصر بوجه عام في التغير والتأثير وفي تدعيم الاتجاهات السائدة، وإلى منهج الاسلام في التغيير ... سأتناول هنا دور الصحافة وواجبها تجاه شريعتنا الغراء .

إن دور الصحافة في هذا الميدان دور كفاح وجهاد، خاصة وأن العالم كله يعيش مرحلة ضياع وحيرة وانكفاء إلى جاهلية والحاد وعبادة أفكار أو أشخاص لاتختلف كثيراً عن عبادة الأوثان والأصنام .

ــ وعلى الصحافة الاسلامية واجب كبير في مشاركة وسائل الاعلام كافتها، بل عليها – بعد الله – تنعقد الآمال في حدود اختصاص هذه الوسائل المهمة، لكونها أهم وأبرز وسيلة إعلامية ودعائية تسهم في إضاءة القلوب الضالة وتنوير العقول التي غشيتها الجهالة وأعمتها مادية حسية مثيرة للغرائز، مطلقة للنزوات والاندفاعات الحيوانية الهمجية .

---

(١) سورة المائدة – الآية / ٥٠

ـــ عليها واجب التصدي لكل الحملات المغرضة التي تتعرض لها شريعتنا الاسلامية، فخصوم هذا الدين بدءاً من اليهودية واتصالا بالصليبية وكل ما أخرجتا من نحل وأشكال ومناهج وتنظيمات أو أفكار واتجاهات، اختلفت مسمياتها وتباينت صورها. واتحدت في عدائها للاسلام – فالكفر ملة واحدة – وهي الآن تتجلى في الصهيونية والماسونية والشيوعية والاشتراكية والبهائية والقاديانية وغيرها .

بل أن محاولات تزوير وتحريف القرآن الكريم أو تزييف المعلومات والأخبار المتعلقة بشريعة الله وبرسول الله ﷺ لم تتوان أو تتوقف يوماً ما وفي كل مكان .

على ضوء ما تقدم – وفي هذا الاطار – يمكن تحديد المهام والواجبات التي أرى أن على الصحافة الاسلامية الاضطلاع بها على النحو التالي :

أ ـــ إبراز الدور الرائد للشريعة الاسلامية :

لعل من أولى مهام الصحافة الاسلامية توضيح وابراز الدور الرائد الذي قامت به شريعة الله في إخراج الانسانية من ظلمات الجهل إلى نور العلم، من الحيرة والتخبط والضياع في جاهلية غبراء، وفي ضلال دعوات مادية وتحلل أخلاقي وانهيار سلوكي وصراع طبقي، وتصادم مصالح وشرور، بين رأسمالية جشعة وشيوعية متسلطة ظالمة .

وبالتالي هو صراع شرقي – غربي بل هو تكالب الملة الكافرة الواحدة المتمثل في روسيا وأمريكا وأطماعهما .

وكما كان لهذا الدين فضل في إنقاذ هذه البشرية من ضلال الجاهلية التي كانت قابعة فيه قبل أكثر من أربعة عشر قرناً. فإنه جدير بتخليص الانسانية من بلاء «الجاهلية الحديثة» الذي تعانيه، ويحميها من الأخطار التي تهدد وجودها .

ب ــ الدعوة لتجميع الطاقات الاسلامية :

إن الدعوة إلى تجميع الطاقات الاسلامية فكراً وثقافة وعلماً واقتصادا أو سياسة وقوى بشرية، وضرورة حشدها من أجل خدمة شريعة الله ومجابهة الأخطار التي يتعرض لها الاسلام والمسلمون في كل مكان .. إن كل هذا يعتبر من الواجبات الرئيسة التي يجب أن تتصدى لها صحافتنا .

يقول الله تعالى ﴿ محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .. ﴾[1]

فالتراحم بين المسلمين والتساند والتعاضد في مجابهة المخاطر التي تحل بالمسلمين وعقيدتهم واجب كبير لابدَّ أن تتولى الصحافة الاسلامية التنوير والتبصير به. ولاينبغي أن نترك الساحة لخصومنا أعداء هذا الدين ينفردون بنا أفراداً أو جماعات أو شعوباً، ليذهبوا بريحنا ويطفئوا نور الله فينا، بل لا بد من المجابهة والتصدي لهم بمختلف الوسائل، وبيدٍ واحدة وقلب واحد وصف واحد متماسك، لاينفذ اليه الخور أو ينتابه الضعف .

---

(١) سورة الفتح – الآية / ٢٩

قال الله تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا ... ﴾[1]

إذن فدور الصحافة جد عظيم فلا بد لها أن تجاهد في سبيل الله ودينه جهاداً متصلاً غير متوان ولا متواكل .. وأن تجاهد من أجل توعية البشر في كل زمان ومكان – وعلى مختلف الأصعدة – وفي كل نطاق ليفتحوا عيونهم على السبيل السوي ، ويعودوا جميعاً إلى جادة الهداية والرشاد إلى حكم الله وشرعه[2] .

وما أحوجنا اليوم إلى تجميع طاقاتنا الإسلامية في دنيا الاسلام ، فاليقظة والحذر كل الحذر مما يحاك ضد الاسلام في مجالات متعددة واتجاهات كثيرة، علينا تجميع طاقاتنا لنصمد أمام التحديات التي تواجهنا من الشرق أو الغرب، سيما ونحن نملك – والحمد لله – طاقات كثيرة وامكانات بفضل من الله عظيمة، ولقد بذل أعداؤنا وما زالوا يبذلون جهوداً كبيرة بغية تبديد هذه الطاقات، ولعل ما يدور على الساحة العربية الاسلامية من تناحر وحروب ابلغ دليل على هذا التحدي وهذه المواجهة.. ولاريب فإنها من المعارك التي تدور – وستظل – بين الحق والباطل، وإن اختلفت مسمياتها وشعاراتها .

علاقة الصحافة بالمجتمعات العربية الاسلامية :

إن للمجتمعات العربية الاسلامية قضية مع الاعلام بوجه عام

---

(١) سورة آل عمران – الآية / ١٠٣

(٢) أنظر الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية – ص ٤٥٧ – ٤٥٨

– والصحافة على وجه التحديد – ليس من المنطق ولامن المفيد أن نهون من شأنها، وهذه القضية أو العلاقة منبثقة أساساً وبوجه عام من طبيعة ما تؤمن به هذه المجتمعات من قيم ومبادىء ومعتقدات، تعيش عليها وتتعايش معها، على الصحافة الاسلامية أن تتبناها وتضطلع بها وتسعى جادة إلى تطوير الصالح منها، تتأثر بها وتعمل من أجلها .

والصحافة إذا تبنت غير ماتؤمن به هذه المجتمعات التي تتفاعل معها وتؤثر فيها، أصبحت غريبة النزعة أجنبية المفهوم، دخيلة على مجتمعها، تعيش ولاء الغير وتخدم أهدافه، فينتج عن هذا تباعد وانفصام بين الصحافة والمجتمع تكون نتيجته ضياعاً وإنحلالاً .

إن المجتمعات العربية الاسلامية تدين بالاسلام عقيدة ومنهجاً وتشريعاً، وتخضع لدعوة الحق والنور قولاً وعملاً، وهي دعوة شاملة لاتخص أمة بعينها ولا مجتمعاً بذاته، فهي لكافة الأمم والمجتمعات... بل هي دعوة للانسان حيثما كان وأينما كان، دعوة لاترتبط بحدود ولاتتقيد بمساحات، دعوة يقوم الانسان المؤمن بها برسالة خلق وابداع، لاتعرف للطاقة حداً ولا للفاعلية نهاية، رسالة الانسان المؤمن بدعوة الحق والنور، هي عمارة الأرض بكل شمولها وكل مكنوناتها وأسرارها، فهو مستخلف فيها، وهو لهذا مطالب بأن يحقق رسالته عليها بكل مايستطيع من جهد .[1]

---

(١) أنظر مقال للدكتور/ محمود محمد سفر. في جريدة الشرق الأوسط – العدد/ ٧٦٢ تاريخ ١٩٨٠/١٢/٢٩م بتصرف .

مهمة الصحافة الاسلامية في هذا المجال :

إنسان هذه رسالته ومجتمع هذه دعوته لابد أن تتحدد فيه للصحافة ملامحها ويتشكل اطارها وتتبين معالمها وتتضح منطلقاتها، وتقوم بدورها حاضة على العمل البناء وموجهة له ومعززة لقيمه الاجتماعية، وتكون بذلك معمقة لتلك الرسالة مؤكدة للدعوة.

وقبل تحديد مهام الصحافة الاسلامية، تجدر الاشارة هنا إلى أن هناك صحفاً يسيطر عليها المسلمون في هذه المجتمعات سيطرة تكاد تكون تامة. ولكن مع كل هذا فإن شريعة الله لم تظهر سوى في أيام الجمع أو المناسبات الدينية .

إن الصحافة كانت دائماً بالنسبة للعقول المغلقة سلاحاً خطيراً إلى حد أن الذين يمسكون بزمام السلطة يجدون الوسائل التي يسيطرون بها على قوتها في الاقناع، وبالنسبة للعقول المتفتحة فإنها كانت دائماً وسيلة لاثارة الاهتمام والمشاعر بين الجماهير بهدف إحداث التغيير اللازم فيها[1] ..

ونستطيع هنا اجمال المهام الأساسية التي يجب على الصحافة التحرك في إطارها خدمة لشريعة الله، وهي :

١ ــ إثارة الاهتمام والمشاعر في إتجاه تعليم المسلمين شريعة الله، ويجب أن تكون هناك قوة من التأثير بحيث تثير اهتمامهم لمعرفة وممارسة هذه الشريعة في القرآن الكريم، والمعيار الأساسي هو حفزهم على ذلك .

---

(١) أنظر. الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية ص ٣٧٦ .

٢ ــ إيضاح طبيعة وحقيقة «المجتمع الاسلامي» وإنه المجتمع الذي يطبق فيه الاسلام عقيدة وعبادة وشريعة ونظاماً وخلقاً وسلوكاً .

٣ ــ إيضاح طبيعة «المجتمع الجاهلي» وإنه المجتمع الذي لايطبق فيه الاسلام ولا تحكمه عقيدته وشرائعه وقيمه ونظامه وخلقه وسلوكه .

٤ ــ تبيان أن «المجتمع الاسلامي» ليس هو الذي يضم إناساً ممن يسمون أنفسهم «مسلمين» بينما شريعة الاسلام ليست هي قانون هذا المجتمع. وإن صلى وصام وحج البيت الحرام .

كما أن «المجتمع الاسلامي» ليس هو الذي يبتدع لنفسه إسلاماً من عند نفسه غير ماشرعه الله تعالى، وفصّله رسوله محمد ﷺ، ويطلق عليه مثلا «الاسلام المتطور» .

٥ ــ تحفيز الهمم وتفجير الطاقات وتقوية العزائم، والدعوة إلى الخير بكل معانيه، نابذه للشر وللفساد بشتى صوره وأشكاله المثبطة لكل القيم الاجتماعية والمبادىء الانسانية .